

محاضرات مادة النثر

أولاً : تعريف النثر:

النثر لغة: يقول صاحب اللسان: «النثر نثرُك الشيء بيدك ترمي به متفرقا مثل نثر الجوز واللوز والسكر وكذلك نثر الحب إذا بُذِر» فالعنى اللغوي يعني الشيء المبعثر (المتفرق) الذي لا يقوم على أساس في تفرقه وبعثرته، أي: لا يقوم على أساس من حيث الكيف والكم والانتساع.

النثر اصطلاحاً: هو الكلام الذي ليس فيه الوزن ويعتمد على الحقائق. بتعبير آخر: النثر هو كلام المقفي بالأسجاع. النثر أدب إنساني، «وهو على ضربين: أما الضرب الأول فهو النثر العادي، أو ما عرف بالنثر التأليفي: الذي يقال في لغة التخاطب، وليست لهذا الضرب قيمة أدبية إلا ما يجري فيه أحيانا من أمثال وحكم، أما النثر الأدبي فيعرف بتعريفات متعددة إلا أن أوضحها التعريف التالي:

التعبير عن الأفكار والعواطف والانفعالات بكلام جميل لا يتقيد بالوزن ولا القافية فهو كلام يعبر عما يجيش في نفس الإنسان من أفكار وخواطر ومشاعر وانفعالات , وهذا الكلام يستخدم لغة أدبية يستخدم الخيال الذي يولد الصورة الفنية الرائعة التي تعبر عما يجول في فكر الإنسان , إلا أن هذا الكلام لا يكون له وزن ولا قافية مثل الشعر. و هو الذي يعنى النقاد في اللغات المختلفة ببحثه ودرسه وبيان ما مر به من أحداث وأطوار، وما يمتاز به في كل طور من صفات وخصائص، وهو يتفرع إلى جدولين كبيرين، هما الخطابة والكتابة الفنية (ويسميا بعض الباحثين باسم النثر الفني)

: أنواع النثر

يتشكل النثر على أنواع متعددة , تختلف هذه الأنواع من زمن إلى آخر حيث تكون أنواع في زمن ومن ثم تنقرض هذه الأنواع أو بعضها وتأتي أنواع أخرى لم تكن موجودة في الزمن السابق. وعلى الرغم من ذلك إلا أن هذه الأنواع في العموم تنحصر في أربعة أنواع هي:

المقالة

القصة

الرواية.

المسرحية.

وكل نوع من هذه الأنواع الأربعة يعتبر فناً مستقلاً بذاته له أصوله وقواعده

حال النثر في اواخر العهد العثماني وبدايات العصر الحديث

بلغ النثر في أخريات العصر العثماني مبلغاً من الركافة والضعف، فكانت عباراته سقيمة، مقيدة بقيود ثقيلة من الحلي والزخارف المصطنعة المتكلفة، لتخفي ما وراءها من معنى مردول، وفكرة تافهة ضحلة، وكثيراً ما كانت تغلب العامية والكلمات التركبية على كتابات الكتاب، فيأتي الكلام أشبه بالرموز والأحاجي.

ومن كان من الكُتّاب على قدر يسير من اللغة، نهج أسلوب المقامات في كتاباته فالنثر السجع في كل ما يصطنع من كتابة، بل منهم من كان يتلاعب بالألفاظ والتحريف ، وقد أورد الجبرتي أمثلة عديدة في كتابه (عجائب الآثار في التراجم والأخبار)، سنسوق منها نموذجين.

- المقامة التصحيفية للشيخ عبد الله الإدكاوي، الذي أهدى منها نسخة للشيخ عبد الله التلباني فرد عليه بما نصه: (عبد الله عند الله وجيه، وحبه محتم بقلوبنا تعلو بنا سماته، سما به عمله عم له التواب والثواب، ولا حرماناً ولا حرمناً الأيهج الأنهج...)

ونحن نرى هنا هذا الطائل من الكلمات العبثية التي تؤكد ما وصلت إليه اللغة من الضعف والركافة.

٢- قال مصطفى الدمياطي: (حكى البديع بشير بن سعيد قال: حدثني الربيع بن رشيد قال: هاجت لي دواعي الأشواق العذرية، وعاجت بي لوا عج الاتواق الفكرية، على ورود حمى مصر المعزية البديعة؛ ذات المشاهد الحسنة والمعاهد الرفيعة؛ لأشرح بمنن حديثها الحسن صدري، وأروح بحواشي نيلها الجاري روعي وسري، وأقتبس نور مصباح الطرف من ظرفائها؛ واقتطف نور أرواح الظرف من لطفائها، وأستجلي عرائس بدائع معاني العلوم، على منصات الفكر محلاة بالمنتور والمنظوم، واستمد من حماتها

السادة أسرار العناية، واسترشد بسررتها القادة أنوار الهداية...) نلمح كلاماً متكلفاً مصنوعاً، لا يفضي إلى غاية ولا ينبئ عن فكرة سليمة وإنما هو لإظهار البراعة في اقتناص السجعات، وإيراد المحسنات.

ومن الذين اشتهروا بالأدب في دمشق قبيل النهضة محمد خليل الدمشقي يقول في رسالة كتبها إلى صديق له بمصر:

(أهدي السلام العاطر الذي هو كنفح الروض باكره السحاب الماطر، والتحايا المتأرجة النفحات الساطعة اللمحات، الشامخة الشميم، الناشئة من خالص صميم، وأبدي الشوق الكامن وأبته، وأسوق ركب الغرام وأحثه، إلى الحضرة التي هي مهيب نسائم العرفان والتحقيق، ومصب مزن الإتقان والتدقيق. ومطلع شمس الإفادة والتحرير، ومنبع مياه البلاغة والتقرير...)

وإذا كانت لهذه العبارات قوة بعض الشيء، إلا أننا نجد فيها تقليد وافتعال وتكلف، والمعنى ضحلاً تافهاً

وقد نرى بعض الكتاب يجاهدون مجاهدة مريرة للتخلص من السجع وقيود البديع مثل:

عبد الرحمن الجبرتي، ولكنه أيضاً لا يستطيع التخلص من بعض العبارات الممزوجة من العربية والتركية، فإن سلمت له بعض العبارات، نرى البعض الآخر منها يتعثر.

هذا ما وصلت إليه اللغة والكتابة في أخريات العصر العثماني وبداية العصر الحديث:

١- تهاقت في العبارة.

٢- ركافة في الأسلوب.

٣- استعجام في الألفاظ.

٤- عامية فاشية.

٥- ضحالة في المعاني.

٦- قيود ثقيلة من السجع والمحسنات البديعية.

ومن هنا يتضح لنا أن الشوط الذي قطعته الكتابة منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى اليوم، لم يكن سهلاً هيناً، والتخلص من العقبات في الكتابة واللغة لم يكن ميسراً.

مراحل تطور النثر الأدبي: وهي ثلاث مراحل

١- مرحلة البدايات:

بدأت بالاحتكاك بالحضارة الغربية، وكان هذا الاحتكاك من أهم عوامل التطور في هذه المرحلة، وبدأ الأدب يتخلص من الموضوعات التقليدية، ويهتم بالحياة الجديدة، ويعبر بالجملة البسيطة الخالية من التصنع، ولا تخلو كتابات هذه المرحلة من بعض مظاهر الضعف وورود الألفاظ الدخيلة، وعدم الاهتمام بالصورة. وأهم الأمثلة على ذلك نثر الجبرتي في كتابه (عجائب الآثار) - والطهطاوي في كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي يقول فيه عن

الصحف: " وهذه الجورنالات مأذون فيها لسائر أهل فرنسا أن تقول ما يخطر لها، وأن تستحسن أو تستقبح ما تراه حسناً أو قبيحاً."

٢- مرحلة الانتقال:

في هذه المرحلة تطور النثر بتأثير انتشار التعليم والطباعة والترجمة وإحياء التراث. وظهر الصراع بين القديم والجديد، وظهرت المقالة وازدهرت الخطابة، وبدأت محاولات كتابة القصة على شكل مقامات، وقلّ التكلف، وإن بقي السجع عند بعضهم. ومن أمثلة هذه المرحلة (عبد الرحمن الكواكبي) في كتابه (طبائع الاستبداد) - ومحمد المويلحي في كتابه (حديث عيسى بن هشام) الذي صور فيه مصر في أيام الإنكليز، وعالج مشاكل الأخلاق والتعليم بروح إصلاحية، ومما يقوله فيه: "فظللت أنا والوالي نواصل الطواف بالطواف للوقوف على تلك الأوقاف، ونسائل العابر وابن السبيل عن المسجد والسبيل."

٣- مرحلة الازدهار:

وفيها تنوعت فنون النثر، وظهرت مدرستان في الكتابة النثرية:

أ- مدرسة المحافظين : وهم أصحاب الثقافة العربية الصرف , وهؤلاء حرصوا على جودة الصياغة وسلامة اللغة , وعالجوا الأمراض التي جاءت مع الحضارة الغربية . وأهم روادها: الرافعي – والمنفلوطي – والزيات
ب- مدرسة المجددين : وهؤلاء تأثروا بالثقافة الغربية , واهتموا بعمق الفكرة ودقتها وتحليلها واستقصائها , وعالجوا قضايا النقد الأدبي والتحليل النفسي والاجتماعي . وأهم أعلامها: طه حسين – العقاد – المازني – جبران – نعيمة – توفيق الحكيم.

نواحي تطور النثر العربي الحديث

- ١- اتسعت موضوعات النثر لتشمل الأدب والاجتماع والعلوم والسياسة.
 - ٢- تنوعت الأساليب فكان هناك : الأسلوب العلمي والأسلوب الأدبي والأسلوب المتأدب الميسر.
 - ٣- تطلعت الافكار إلى الابتكار والتجديد والتحليل والتعليل والوضوح والتفصيل.
 - ٤- برزت شخصية الأديب المفكرة وعاطفته الصادقة وصوره الطريفة.
 - ٥- تخلصت الأساليب من التكلف وأصبحت نقية غير معقدة.
- وقد أرسى كتاب هذه المرحلة دعائم النثر الحديث فكتبوا الخاطرة التي هي فكرة عارضة لاتحتاج إلى حجج لإثباتها , وأشهر كتابها(صدقي إسماعيل وذكريا تامر ونزار قباني وأحمد أمين في كتابه فيض الخاطر.
كما ظهرت (السيرة) التي هي ترجمة ذاتية لحياة الأديب مثل (الأيام – لطف حسين) و(سبعون – لميخائيل نعيمة
وقد تكون السيرة ترجمة لحياة الآخرين مثل (العبقریات – للعقاد) وكتاب جبران لميخائيل نعيمة.
فضلا عن ذلك لظهور الحديث الإذاعي والقصة والمقالة .